[أصل المثل : رجع بخفى حنين]

وخُفَّا حُنَين ، يضرب بهما المثل للخائب الخاسر ، واختلف فى حُنين ، فقال يعقوب: إنه كان رجلا مُدّعِياً ، فجاء إلى عبد المطلب ، وعليه خُفَّان ، فقال : ياعم إنى من ولد هاشم ، فأنعَمَ النَّظر فيه ، وقال: لا وعظام هاشم ، ما أرى فيك شمائلَ هاشم ، فارجع خائباً خاسراً .

وقيل: كان رجلاً مغنّياً ، فدعاه قوم من أهل الكوفة . ليُطربَهم فى نزهة، فخرجوا به إلى الصحراء ، فضربوه وسلبوا ثيابه ، وتركوا عليه خُفَّيْهِ ؛ فلما رجع إلى زوجته ـ وكانت تنتظر رجوعَه على عادته بما يفضُل من أطعمة النزهة ـ ورأته على تلك الحالة قالت لكل من سألها : رجَع حُنين بخُفَّيه .

وقيل: إنه كان صانعاً ، فساومه أعرابىّ بخُفّين ، وماكسه حتى أحرجه . فلما ارتحل الأعرابىّ ، أخذ حنين إحدى الخفين فوضعَها على الطريق ، ثم مشى وألقى الأخرى فى موضع آخر على الطريق ، وكمن له ، فلما مرّ الأعرابىّ بالخُفّ قال : ما أشبه هذه بخفّ حُنين ؛ ولو كان معها الأخرى لأخذتُها . فلمّا انتهى إلى الأخرى ، نَدِم على ترك الأولى ، فأناخ راحلَته ، وأخذها ورجع إلى الأولى ؛ فلما غاب عَمَد حنين إلى راحلته بما عليها فركبها ، ومضى بها ، ورجع الأعرابىّ إلى قومه بخُفّين ، فكان إذا سئل عن حاله قال : رجعت بخُفَّىْ حنين فصار مثلا .

وقيل : كان حُنين لصًّا حقيراً فأُخِذَ وصُلِب ، فجاءته أمّه وعليه خفّان فانتزعتهما ورجعت ، فقيل : رجعت بخُفَّىْ حُنين ، أى رضيت منه بذلك .

* * *

فتبصَّرْ ولاَ تُشِمْ كلَّ بَرْقٍ ربَّ برقٍ فيهِ صواعِقُ حَيْنِ
واغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْترِحْ مِن غرَامٍ تَكْتَسِي فيهِ ثَوْبَ ذلٍّ وشَيْنِ
فبلاءُ الفَتَى اتِّباعُ هَوَى النَّفْسِ وَبِذْرُ الْهَوَى طَمُوحُ عَيْنِ

قال الراوى : فمزَّقتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ، ولَمْ أَبَلْ أَعَذَلَ أم عذَرَ .

* * *

قوله «تبصر» : أى أحسن النظر . حَيْن : هلاك . والصاعقة : نار ترسل مع الرعد والبَرْق ، وجمعها صواعق ، وصعق الرجل إذا أصابته ، وصعق إذا مات ، وقيس تقول : صاعقة ، وبنو تميم صاقعة ؛ وقد صقع . غرام : عذاب الحب . شَيْن : عيب . والبَذْر : زرع الحبّ فى الأرض .

طموح : ارتفاع يريد أن أصل العشق مداومة النظر ، ألمّ فيه بقول عيسى عليه السلام : « لا يزنى فرجُك ما غضضتَ بصرَك » ؛ وقد تقدَّم : من كثرتْ لحظاته دامت حسراته .

وقال سابق البربرىّ فى اتباع الهوى :

وهجر الهَوَى للمرءِ فاعلم سعادةٌ
وطُول الهوى رَيْنٌ على القَلْبِ رَائِنُ
فكن دافناً للشَّرّ بالخير تسترحْ من الشرّ إنّ الخير للشرّ دَافِنُ

وقال آخر :

إذا أنت لم تعصِ الهوى قادَكَ الهوى
إلى كلّ ما فيه عليك مقالُ

وقال المتنبي :

عزيزٌ أسى مَنْ داؤه الأعين النُّجلُ ... عناء به مات المحبون مِنْ قَبلُ[1]
فمن شاء فلينظر إليّ فمَنظرِى ... نذيرٌ إلى مَنْ ظنّ أنّ الهوى سَهْلُ
وما هى إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ ... إذا نزلت فى قلبه رَحَلَ العَقْلُ

وقال ابن زيدون :

مَنْ يسأل الناس عن حالى فشاهدُه ... محضُ العيان الّذى يُغنى عن الخبَرِ[2]
أما الضّنَى فجنته نظرة عنَنٌ ... كأنّهـا والرّدَى جاءا على قَدَرِ
فهمتُ معنَى الهوى من وَحْيِ طرفك لى
إن الحوار لمفهـــومٌ مِنَ الحَوَرِ

وقال العبّاس بن الأحنف :

الحبّ أوّل ما يكون لجاجةً ... تأتى به وتسوقُه الأقدارُ[3]
حتى إذا اقتحم الفتى لججَ الهَوَى ... جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كِبَارُ

فهذا كله يبيِّن بيت الحريرىّ .

قوله : « مزقت » : قطعت . شذَر مذَر : قِطَعًا متفرقة فى كلّ جهة . وأصل الشّذر قطع الذهب ، ومذَر اتباع لها .

لم أُبَل : أى لم أبالِ . عذل : لام . عذر : قَبِل العذْر .

---

(١) ديوانه ٣ : ١٨٠ .
(٢) ديوانه ٢٥١ .
(٣) ديوانه ٩٩٦ .